

خطبة الجمعة القادمة ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٥ م، الموافق ٤ ربيع الآخر ١٤٤٧ هـ

تحت عنوان : "اليقين "

إعداد فضيلة الشيخ/ احمد إسماعيل الفشني

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ وَزَيَّنَ قُلُوبَنَا بِالْيَقِينِ. نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ
حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، حَمْدَ الشَّاكِرِينَ الذَّاكِرِينَ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُؤَمِّنٍ مُوقِنٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَجَلَالِهِ. وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، الَّذِي بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ اللَّهُ بِهِ الْغُمَّةَ.
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ
وَاهْتَدَى بِهِدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ عِصْمَةٌ، وَطَاعَتُهُ
فَوْزٌ وَسَعَادَةٌ.

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ :

فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ، نَقِفُ لِنَتَأَمَّلَ فِي قَضِيَّةٍ لَيْسَتْ فِكْرِيَّةً فَقَطْ، بَلْ هِيَ قَضِيَّةٌ قَلْبِيَّةٌ
رُوحِيَّةٌ. إِنَّهُ الْحَدِيثُ عَنْ "الْيَقِينِ"، وَدَوْرِهِ الْحَيَوِيِّ فِي مُوَاجَهَةِ مَا يُسَمَّى
بِـ**"الْإِلْحَادِ"**. لَقَدْ دَعَيْنَا وَرَارَةَ الْأَوْقَافِ الْكَرِيمَةِ إِلَى هَذَا الْمَوْضُوعِ، لِنُصَحِّحَ
الْمَفَاهِيمَ، وَنَكْشِفَ الْغُمَّةَ، وَنُقَدِّمَ لِلْحَائِرِينَ دِرْعَ الْإِيمَانِ وَسِلَاحَ الْيَقِينِ.

الْغُنْصُرُ الْأَوَّلُ: الْيَقِينُ... مِفْتَاحُ الْفَوْزِ وَالْعِصْمَةِ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ

مَا الْيَقِينُ؟ الْيَقِينُ لَيْسَ مُجَرَّدَ عِلْمٍ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ، وَلَيْسَ فَقَطْ تَصَدِيقًا بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. بَلِ الْيَقِينُ هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةُ الْقَلْبِ، هُوَ أَنْ تَسْتَقِرَّ الْحَقِيقَةُ الْإِيمَانِيَّةُ فِي الْقَلْبِ، حَتَّى تَتَحَوَّلَ إِلَى حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ تَرْبُطُ صَاحِبَهَا بِاللَّهِ رَبُّطًا لَا انفِصَامَ لَهُ. إِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي لَا تَهْزِمُهُ الشُّبُهَاتُ، وَلَا تُخْضِعُهُ الشَّهَوَاتُ، وَلَا تَحْدُهُ الظُّرُوفُ الصَّعْبَةُ. وَلَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: 4]. لَمْ يَقُلْ "يُؤْمِنُونَ"، بَلْ "يُوقِنُونَ"، لِأَنَّ يَقِينَهُمْ بِالْآخِرَةِ جَعَلَهُمْ يَعْيشُونَ لَهَا، وَيَعْمَلُونَ مِنْ أَجْلِهَا، وَيَرَوْنَ بِنُورِ الْإِيمَانِ مَا لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ.

تَأْمَلُوا مَعِيَ فِي مَشَاهِدَ مِنَ الْيَقِينِ الْخَالِدِ فِي قُلُوبِ السَّلَفِ:

* هَذَا سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قِصَّةِ الْهَجْرَةِ. لَمَّا كَانَ مَعَ سَيِّدُنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَارِ ثَوْرٍ، وَالْمُشْرِكُونَ يَبْحَثُونَ عَنْهُمَا بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ قُوَّةٍ، وَسَمِعَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ خَطَوَاتِهِمْ فَوْقَ الْغَارِ، وَكَانَتْ لَحْظَةً رُعْبٍ وَتَرْقُبٍ، قَالَ لِسَيِّدُنَا لِلنَّبِيِّ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا". فَمَازَا كَانَ رَدُّ سَيِّدُنَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ بِكُلِّ ثِقَةٍ وَهُدُوءٍ: "مَا ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا؟". هَذَا الْيَقِينُ، الَّذِي جَعَلَ سَيِّدُنَا النَّبِيَّ يَرَى مَعِيَّةَ اللَّهِ فِي أَشَدِّ الظُّرُوفِ، وَجَعَلَ سَيِّدُنَا أَبَا بَكْرٍ يَطْمَئِنُّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَلَمْ يَخَافُوا، وَلَمْ يَفْرَعُوا.

* وَهَذَا الْخَلِيفَةُ الْعَادِلُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا ذَهَبَ لِيَسْتَلِمَ مِفْتَاحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَمْ يَجِئْ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ، بَلْ جَاءَ عَلَى نَاقَةٍ وَاحِدَةٍ يَتَنَاقَبُ عَلَيْهَا هُوَ وَغُلَامُهُ. وَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، كَانَ الْغُلَامُ رَاكِبًا وَهُوَ مَاشٍ فِي الطِّينِ. فَتَعَجَّبَ أَهْلُ الْبَلَدِ، وَقَالُوا: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَنَّكَ لَبَسْتَ ثِيَابًا أَجْمَلَ مِنْ هَذِهِ؟" فَقَالَ كَلِمَتَهُ الَّتِي خُلِدَتْ: "نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ فِي غَيْرِهِ، أَذَلَّنَا اللَّهُ". هَذَا هُوَ الْيَقِينُ الْقَاطِعُ بِأَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

* وَهَذَا سَيِّدُنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، سَيْفُ اللَّهِ الْمَسْلُوكِ، فِي أَحَدِ الْمَعَارِكِ، شَرِبَ سُمًّا قَاتِلًا أَمَامَ أَعْدَائِهِ، وَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ أُجَاهِدُ". فَمَا ضَرَّهُ شَيْءٌ. أَيُّ يَقِينٍ هَذَا؟! إِنَّهُ الْيَقِينُ بِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِأَمْرِهِ. الْعُنْصُرُ الثَّانِي: جُذُورُ الْإِلْحَادِ وَمُشْكِلَاتُهُ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ

الْإِلْحَادُ لَيْسَ ظَاهِرَةً جَدِيدَةً، وَلَكِنَّهُ الْيَوْمَ يَتَسَرَّبُ إِلَى عُقُولِ الشَّبَابِ مِنْ خِلَالِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ وَالْإِعْلَامِ. وَيُحْطَى مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ نَتِيجَةُ لِعِلْمٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ، بَلْ هُوَ يَنْبُعُ مِنْ مُشْكِلَاتٍ عِدَّةٍ:

* الْفَرَاغُ الرُّوحِيُّ: الْإِنْسَانُ بِطَبِيعَتِهِ يَشْعُرُ بِالْفَرَاغِ إِذَا ابْتَعَدَ عَنِ اللَّهِ. فَالْقَلْبُ لَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا بِذِكْرِ خَالِقِهِ. وَالْإِلْحَادُ لَا يَقْدَمُ أَجْرًا أَوْ غَايَةً أَوْ رَاحَةً بَالٍ.

* الْمَشْكِلَاتُ النَّفْسِيَّةُ وَالْاجْتِمَاعِيَّةُ: بَعْضُ الْمُحْدِثِينَ قَدْ يَنْشَأُونَ فِي أَسْرِ مُضْطَرَبَةٍ، أَوْ يَشْهَدُونَ تَنَاقُضًا بَيْنَ أَقْوَالِ أَهْلِ الدِّينِ وَأَفْعَالِهِمْ. فَيَظُنُّونَ أَنَّ الدِّينَ هُوَ السَّبَبُ فِي هَذَا الشَّتَاتِ، فَيَتَمَرَّدُونَ عَلَيْهِ.

* الشُّبُهَاتُ الْفِكْرِيَّةُ: الْإِلْحَادُ الْيَوْمَ يَتَخَفَّى خَلْفَ عِبَاءَةِ الْعِلْمِ وَالْمَنْطِقِ، فَيُثِيرُ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ وُجُودِ الْخَالِقِ، أَوْ حَوْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ، أَوْ حَوْلَ مَفْهُومِ الْعَدْلِ وَالظُّلْمِ. وَالشَّابُّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ يَقِينٌ وَلَا عِلْمٌ كَافٍ، يَسْهُلُ انْزِلَاقُهُ فِي هَذِهِ الشُّبُهَاتِ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ

بَعْدَ أَنْ تَعَرَّفْنَا عَلَى مَرَضِ الْإِلْحَادِ وَأَسْبَابِهِ، نُقَدِّمُ لَكُمْ الْعِلَاجَ النَّاجِعَ، الَّذِي لَا يَجْرِي عَلَيْهِ دَاءٌ وَلَا يَشْفِيهِ دَوَاءٌ إِلَّا هُوَ. ذَلِكَ الْعِلَاجُ هُوَ الْيَقِينُ.

الْعُنْصُرُ الثَّالِثُ: الْيَقِينُ... دَوَاءٌ وَشِفَاءٌ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ

الْيَقِينُ هُوَ دِرْعُ الْمُسْلِمِ فِي وَجْهِ الشُّبُهَاتِ، وَهُوَ سَكِينَةُ قَلْبِهِ فِي وَجْهِ الْفَرَاغِ الرُّوحِيِّ. وَلَكِنِّي نَذْرُكَ قُوَّةَ هَذَا الْعِلَاجِ، تَأْمَلُوا قِصَصًا مِنْ حَيَاتِنَا الْمُعَاصِرَةِ:

* هَذِهِ فَتَاةٌ غَرِيبَةٌ عَاشَتْ حَيَاةَ لَهْوٍ وَتَمَرَّدَ عَلَى الْأَخْلَاقِ، وَكَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ حَيَاتَهَا فِي حُرِّيَّةٍ مُطْلَقَةٍ. وَلَكِنَّهَا وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي فَرَاغٍ عَمِيقٍ، لَا مَعْنَى لِلْحَيَاةِ فِيهِ. فَفِي لَحْظَةٍ يَأْسٍ شَدِيدٍ، رَفَعَتْ يَدَهَا وَقَالَتْ مِنْ قَلْبِهَا "يَا رَبُّ!", فَبَدَأَتْ تَقْرَأُ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ شَعَرَتْ بِالسَّكِينَةِ تَنْزِلُ عَلَى قَلْبِهَا. ثُمَّ بَدَأَتْ تَقْرَأُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَوَجَدَتْ فِيهِ مَا يَمَلَأُ قَلْبَهَا، وَيُجِيبُ عَلَى أَسْئَلَتِهَا. لَقَدْ كَانَ الْيَقِينُ هُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي شَفَاهَا مِنْ دَاءِ الْفَرَاغِ.

* وَهَذَا شَابٌّ مُلْحَدٌ كَانَ يُخَوِّفُهُ النَّاسُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُونَ لَهُ إِنَّ الْقُرْآنَ يُفْقِدُ الْعَقْلَ. وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، أَخَذَ مُصْحَفًا لِيَقْرَأَ مِنْهُ، فَتَوَقَّعَ أَنْ يَجِدَ فِيهِ خُرَافَاتٍ وَأَسَاطِيرَ. وَلَكِنَّهُ لَمَّا بَدَأَ الْقِرَاءَةَ، شَعَرَ بِقُوَّةٍ تُحَرِّكُ قَلْبَهُ وَتُخَاطِبُ عَقْلَهُ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذَّارِيَاتُ: 21]، شَعَرَ بِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تُخَاطِبُهُ وَيَقُولُ لَهُ: "انْظُرْ فِي نَفْسِكَ، فَهَلْ خُلِقْتَ صُدْقَةً؟" لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ، وَشَعَرَ بِالْحَقِّ يَهْزُ كَيَانَهُ، فَتَنَطَّقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ.

الْعُنْصُرُ الرَّابِعُ: سُبُلٌ عَمَلِيَّةٌ لَتَعْزِيزِ الْيَقِينِ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ

لِكَي نَبْنِيَّ يَقِينًا ثَابِتًا، لَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ. وَهَذِهِ بَعْضُ النَّصَائِحِ الْعَمَلِيَّةِ:

* التَّدَبُّرُ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةِ: انْظُرُوا حَوْلَكُمْ فِي الْكَوْنِ. مَنْ صَنَعَ هَذَا الْكَوْنَ الْبَدِيعَ بِدِقَّتِهِ وَنِظَامِهِ؟ مَنْ جَعَلَ الشَّمْسُ تَشْرِقُ وَتَغْرُبُ فِي مَوْعِدِهَا؟ مَنْ جَعَلَ الْمَطَرَ يَنْزِلُ فَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؟ إِنَّهَا آيَاتٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، فَتَأَمَّلُوهَا.

* قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرُهُ: الْقُرْآنُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ النُّورُ الَّذِي يُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ. فَاجْعَلْ لَكَ وَرْدًا يَوْمِيًّا مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَا تَقْرَأْهُ قِرَاءَةً سَطْحِيَّةً، بَلْ قِرَاءَةً مُتَفَكِّرٍ مُتَدَبِّرٍ لِمَعَانِيهِ.

* الْقِرَاءَةُ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ: اقْرَأُوا عَنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَضَحِيَاتِهِ، وَسِيرَةِ الصَّحَابَةِ، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَرُوا أَمَامَ أَشَدِّ الْفِتَنِ. فَسِيرَتُهُمْ تَقْوِي الْيَقِينَ فِي الْقَلْبِ.

* اللُّجُوءُ إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ: إِذَا شَعَرْتَ بِشُبْهَةٍ، أَوْ حَيْرَةٍ، فَأَسْرِعْ إِلَى اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ. وَتَذَكَّرْ دُعَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلِغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا".

الْعُنْصُرُ الْخَامِسُ: دَعْوَةٌ لِلْعَمَلِ وَالْيَقِينِ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ

لَا تَنْفَصِلُ الْفِكْرَةُ عَنِ الْعَمَلِ. فَالْيَقِينُ لَيْسَ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ تُقَالُ، بَلْ هُوَ حَالَةٌ تُعَاشُ.

* لِلشَّبَابِ وَالشَّبَابَاتِ: كُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْهَدَّامَةِ. وَلَا تَقْبَلُوا الشُّبُهَاتِ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنْ إِجَابَتِهَا. وَاجْعَلُوا مِنَ الْعِلْمِ سِلَاحًا لِلرَّدِّ عَلَى هَذِهِ الشُّبُهَاتِ. وَتَذَكَّرُوا أَنَّ الْعِلْمَ لَا يُنَالُ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ.

* لِلآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ: إِنَّكُمْ أَوَّلُ الْمُرْتَبِينَ لِأَبْنَائِكُمْ. لَا تَتْرَكُوا أَبْنَاءَكُمْ فَرِيسَةً لِأَفْكَارِ الْإِلْحَادِ وَالشَّكِّ، بَلْ عَلِّمُوهُمْ الْيَقِينَ مُنْذُ الصِّغَرِ، وَاخْتَارُوا لَهُمُ الْمَدَارِسَ الصَّالِحَةَ وَالْمُعَلِّمِينَ الْمُخْلِصِينَ.

* لِلدُّعَاةِ وَالْأَيْمَةِ: إِنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِنُزُلِ مِنْ مَنَابِرِ الْخُطَابَةِ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ. لِنُحَاوِرِ الشَّبَابَ بِرَفْقٍ، وَنُجِيبَ عَلَى أَسْئَلَتِهِمْ بِحِكْمَةٍ، وَنَكُونَ قُدُوةً لَهُمْ بِأَخْلَاقِنَا وَأَفْعَالِنَا.

فَلَنَتَّقِ اللَّهَ، وَلَنَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ، الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا يَرْجُونَ إِلَّا فَضْلَهُ. نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي إِيْمَانِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ الْيَقِينَ قُوَّةً فِي قُلُوبِنَا، وَنُورًا فِي دُرُوبِنَا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُبُهَاتِ الْإِلْحَادِ، وَمِنْ فِتَنِ الدُّنْيَا. اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.